التوزيع الجغرافي للسكان وتغيره في الجماهيرية الليبية العظمى

أ.د. عباس فاضل السعدي

كلية الآداب – جامعة بغداد

مقدمـــة :

تحتل الجماهيرية الليبية العظمى رقعة جغرافية شاسعة من الشمال الافريقي العربي الأوسط إذ تمتد لمسافة ١٩٠٠ كم ، من الحدود المصريـــة الـــى الحـــدود التونسية . كما تمتد في أعماق الصحراء الكبرى من جهة الجنوب .

وللقطر الليبي مجالات واسعة للدراسة ولاسيما في حقل جغرافية الســكان ، إذ يسعى هذا التخصص الى تفسير التباين المكـــاني للخصـــائص الديموغرافيـــة للمجتمعات السكانية ، ودراسة النتائج الناجمة من التفاعل المرتبـــط بينـــها وبيـــن ظروف البيئة الجغرافية في مكان واحد أو في أماكن متعددة .

ومن المصادر التي تساعد على أمكانية الدراسات الســـكانية فـــي القطـــر الليبي، توفر البيانات السكانية من مصادرها الثابتـــة (وهـــي التعـــداد والعينـــة) والمصادر غير الثابتة والمتمثلة في سجلات المواليد والوفيات والهجرة . فضـــلاً عن البيانات التي توفرها الهيئات الدولية والأقليمية .

ولا يتناول هذا البحث جميع الجوانب السكانية وأنما يقتصر على دراســـة جانب محدد يقتصر على توزيع السكان وتباين هذا التوزيع من أقليم لآخر ، ومـــن وحدة أدارية لأخرى ، فضلاً عن توزيعهم بحسب البيئة . فضلاً عـــن التغـــيرات الحاصلة على شكل هذا التوزيع منذ النصف الثاني من القرن العشرين .

وتبعاً لذلك تناول هذا البحث دراسة الفقرات الآتية :

أ – التوزيع حسب الأقاليم الطبيعية والوحدات الأدارية ويتناول :

١ . شكل التوزيع حسب الأقاليم الطبيعية .

٢ . الكثافة السكانية .

٣ . المستويات التوزيعية .

الرئيسة ومراكز البلديات وفروعها[١] . وهناك من يقدر نسبة السكان في المناطق الشمالية (الساحلية وغير الصحراوية) بنحو ٩٥% من مجموع السكان[٢] .

أما القسم الجنوبي فتقدر مساحته بنحو ٩٠% من مساحة البلاد ومجموع السكان بنحو ١٥% من أجمالي السكان[٣] . ويقع سكان الواحات في ضمن هذه النسبة، ولا تزيد نسبة سكانهم عن ٨% من سكان البلاد . وأقل من ثلثيهم يتواجدون في منطقة فزان ، بينما يتوزع أكثر من ثلثهم في بقية مناطق الصحراء (أنظر شكل ١) .

وفي ضمن رقعة جغرافية تقرب من أربعة أخماس مساحة القطر الليبي والتي تشغلها المناطق الجافة لا تظهر تركزات سكانية لها أهميتها بأستثناء بعض التجمعات المتقاربة والممتدة على طول أودية حوض فزان ومنخفضاته ، حيث تتوسط هذه المنطقة مدينة سبها ، وهي أكبر مدن الصحراء وتنتشر حولها مستوطنات بشرية صغيرة ممتدة على طول وادي الشاطئ في الشمال وعلى أمتداد وادي الحياة وحوض مرزق في الجنوب والجنوب الغربي .

الكثافة السكانية :

أن تفحص خرائط توزيع السكان في ليبيا توضح أن توزيعهم مشتت ومتخلخل ويعكس ضعف التركز السكاني وانخفاض الكثافة وعدم أنتظام التوزيع. ولاسيما في المناطق الوسطى والجنوبية التي توصف بكونها مناطق تكاد تكون خالية من السكان بأستثناء بعض المستوطنات الصغيرة والمتناثرة في واحات الصحراء الممتدة من غات الى الكفرة ومن غدامس حتى الجنوب .

وتعد كثافة السكان أحدى الوسائل الملائمة والمضللة في آن واحد لتقويم التباين في توزيع السكان . وأن نسبة العدد الكلي للسكان الى المساحة المطلقة (وهي ما تعرف بالكثافة العامة أو الحسابية) لا تعطي صورة حقيقية عن العلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية . كما أنها لا تعكس مدى الأزدحام أو التخلخل السكاني في منطقة ما . ولكنها تعطي مؤشر إلى علاقة السكان بمساحة الأرض التي ينتشرون عليها .

٤ . تغيرات توزيع السكان .

٥ . إعادة توزيع السكان .

ب – التوزيع حسب الريف والحضر .

أ – التوزيع حسب الأقاليم الطبيعية والوحدات الإدارية :

ينحصر توزيع معظم سكان القطر الليبي في الأجزاء الساحلية وفي شريط ضيق . وفي هذا الشريط تبرز منطقتان للتركز السكاني الأولى حول طرابلس ، والثانية حول بنغازي . وتقل الكثافة فيهما بالأبتعاد عنهما ، فقد قدر سكان هاتين البلدتين بنحو ٣٧,٢% من سكان البلاد .

تمتد منطقة التركز الأولى من مصراتة شرقاً الى صبراتة غرباً ، وبإضافة الشريط الجبلي إليها والممتد بين غريان ونالوت تصبح هذه التجمعات السكانية بشكل محاور مرتبطة بمدينة طرابلس التي تعد قاعدة أرتكاز لها . ويمكن تحديد شكل التجمع السكاني في هذه المنطقة بمثلث رأسه في مدينة مصراته وقاعدته بين بئر الغنم وزوارة .

وتقل استمرارية انتشار السكان على الساحل غرب اجدابيا وشرق مصراتة أي في خليج سرت ، وذلك بفضل الظروف الطبيعية غير الملائمة ، حيث تنتشر المستنقعات والكثبان الرملية والمناخ الصحراوي .

أما منطقة التركز الثانية فتبعد عن الأولى (طرابلس) بأتجاه الشرق بأكثر من ٧٠٠ كم متمثلة بمدينة بنغازي وسهلها الساحلي يضاف لها الشريط الشمالي للجبل الأخضر الممتد الى مدينة درنا في الشرق .

ولو رسمنا خطا من الشرق ليشمل الأطراف الشمالية لبلدية طبرق وخط تقسيم المياه في الجبل الأخضر والجبل الغربي لقسمنا البلاد الى قسمين شديدي التفاوت من حيث الاستيطان السكاني . ففي القسم الشمالي الذي يمثل ١٥% من مساحة البلاد يسكنه نحو ٨٥% من مجموع السكان ، حيث تتركز فيه أغلب المدن

وكثافة السكان في القطر الليبي منخفضة جداً وبلغت أقل من شخص واحد لكل كيلومتر مربع خلال تعدادي ١٩٥٤ و ١٩٦٤ . أرتفعت بحكم زيادة السكان الى ١,٣ ، ٢,١ ، ٢,٧ نسمة/كم٢ في التعدادات الثلاثة اللاحقة خلال الأعوام ١٩٧٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٩٥ . وتعد هذه الأرقام مضللة حيث لا تتوزع بصورة متساوية في جميع مناطق البلاد ، ولوجود مساحات شاسعة تكاد تكون خالية من البشر . يقابلها مناطق أخرى مزدحمة بالسكان وتشغل رقعة ضيقة من الأرض .

وعموماً يمكن تقسيم القطر الليبي الى خمسة أقاليم كثافية (بحسب تعداد سكان عام ١٩٩٥) ، وهي على النحو الآتي :

١ - أقليم الكثافة المرتفع جداً : يتمثل هذا الأقليم في شمال غرب البلاد على ساحل البحر المتوسط ويضم بلدية طرابلس وفيها أكبر المدن حجماً وأعلاها كثافة ، حيث بلغت كثافتها السكانية ٦٣٤ نسمة/كم٢ تبعاً لتعداد السكان لعام ١٩٩٥ .

٢ - أقليم الكثافة المرتفع : تتراوح الكثافة فيه بين ٥٠-١١٠ نسمة/كم٢ ويضم كل من الزاوية ومصراتة والخمس وبنغازي وزليتن . وأرتفاع الكثافة فيها ناجم من صغر مساحاتها قياساً بالبلديات الأخرى حيث تتراوح هذه المساحات بين ١٩٤٠-٩٩٨٠ كم٢ . فضلاً عن وجود مدينة بنغازي الكثيرة السكان الذين يشكلون نحو ٦٢% من سكان بلدية بنغازي .

٣ - أقليم الكثافة المتوسط : تتراوح الكثافة فيه بين ٢٠-٥٠ نسمة/كم٢ ويضم كل من بلدية العزيزية والنقاط الخمس (زوارة) وترهونة والجبل الأخضر ، وتتسع المساحة في هذا الأقليم بما يتراوح بين ٢٢٩٠-٧٨٠٠ كم٢ ومساحة هذا الأقليم وإن كانت متقاربة مع الأقليم السابق ، إلا أن عدد سكانه لا يزيد عن ٤٣% منه أي بأقل من نصف الأقليم السابق .

٤ - أقليم الكثافة المنخفض : وتقل فيه الكثافة عن ٢٠ نسمة/كم٢ وعلى وجه الدقة بين ٥-١٠ نسمة/كم٢ ومساحات هذا الأقليم أوسع من الأقليم السابق ، فقد تصل الى ١٩٦٣٠ كم٢ (كما في درنا) . وتقع بلدية سبها في ضمن هذا الأقليم ، وأن سبب وجودها وأعتدال كثافتها نسبياً هو وجود مدينة سبها فيها.

٥ – أقليم الكثافة المنخفض جداً : تقل فيه الكثافة عن ٥ نسمة/كم^{٢} وتضم بقية الوحدات الأدارية وعددها عشر بلديات . تتراوح الكثافة في ثلاث منها (غريان وطبرق وغدامس) بما يتراوح بين ١-٢ نسمة/كم^{٢} . أما بقية البلديات فكثافاتها أقل من نسمة/كم^{٢} وهي مناطق صحراوية مساحاتها شاسعة، أقلها مساحةً ٦٠٨٠٢ كم^{٢} وأكبر مساحة ٣٨٣٥١٠ كم^{٢} وتشمل : الشاطئ ، أوباري ، مرزق ، الكفرة ، سوف الجين ، أجدابيا ، سرت .

أتضح مما تقدم ان أقليم الكثافات المنخفضة تتواجد في المناطق ذات المساحات الجغرافية الشاسعة . ومثل هذه المساحات تشغلها المناطق الصحراوية ذات المناخ القاسي الجاف وذات الصفات التضاريسية المعقدة ، القليلة المياه . لهذا فأن صعوبة العوامل الجغرافية كانت وراء أنخفاض الكثافة السكانية في مثل تلك المناطق . وعلى نقيضها السهول الساحلية والمرتفعات المطلة عليها ممثلة بالجبل الأخضر في الشرق والجبل الغربي في الغرب ممتدةً على شكل مستوطنات تضم ١٢ بلدية لا تشغل وسوى ٤,٢% من مساحة البلاد ويقطنها أكثر من ٧٥% من سكان القطر الليبي (تعداد، 1995) . ويتركز نحو نصف هذا التجمع في بلديتي طرابلس وبنغازي .

جدول رقم (١)

توزيع السكان وكثافتهم في ليبيا بحسب البلديات تبعاً لتعداد عام ١٩٩٥

البلدية	عدد السكان	المساحة (كم^{٢})	الكثافة (نسمة/كم^{٢})
١. طرابلس	١٫٠٧٨٫٥١٧	١٧٠٠	٦٣٤
٢. الخمس	١٩٨٫٦٤٩	١٩٤٠	١٠٢
٣. الزاوية	٢٧٧٫٨٩٤	٢٧٦٠	١٠١
٤. مصراتة	٢٢٠٫٩٢٦	٢٢٧٠	٩٧
٥. بنغازي	٥٥٤٫٥٦٥	٩٩٨٠	٥٦
٦. زليتن	١٣٧٫٠٤٧	٢٤٧٠	٥٥
٧. العزيزية	١٠٧٫٥٣٦	٢٢٩٠	٤٧
٨. النقاط الخمس	٢٢٥٫٧٧١	٥٨٣٠	٣٩

يتبع جدول رقم (١)

البلدية	عدد السكان	المساحة (كم٢)	الكثافة (نسمة/كم٢)
٩. ترهونة	١١٠٫٩٦٤	٣٨٢٠	٢٩
١٠. الجبل الأخضر	١٥٢٫٢٣٢	٧٨٠٠	٢٠
١١. يفـرن	٩٦٫٠٣٨	٩٣١٠	١٠
١٢. الفاتـح	١٢٤٫٦٢٤	١٤٠٠٠	٩
١٣. درنا	١٢٧٫٧٤٦	١٩٦٣٠	٧
١٤. سبهـا	٩٣٫٦٨٨	١٥٣٣٠	٦
١٥. غريـان	١٤٩٫٥٨١	٦٠٨٠٢	٢
١٦. طبـرق	١١٦٫١٠٦	٨٣٨٦٠	١
١٧. غدامس	٧٤٫٨٦٣	٦٥٠٥٠	١
١٨. الشاطئ	٥٩٫٩٩٧	٩٧١٦٠	أقل من ١
١٩. أوباري	٦٧٫٩٩٤	١٠٤٫٥٩٠	أقل من ١
٢٠. مرزق	٥٢٫٣٦٨	٣٤٩٫٩٩٠	أقل من ١
٢١. الكفرة	٣٥٫٠٩١	٤٨٣٫٥١٠	أقل من ١
٢٢. سوف الجين	٥٩,٧٢٠	٦٦٫٧٤٨	أقل من ١
٢٣. اجدابيا	١٣٠٫٣٦١	٢٠٠٫٢٩٠	أقل من ١
٢٤. سرت	١٣٧٫٤٦١	١٦٤٫٥٧٠	أقل من ١

المصدر : النتائج النهائية للتعداد العام للسكان لسنة ١٩٩٥ ، جدول ٩٩ ، ص٣٠١ ، نتائج التعداد العام للسكان لعام ١٩٨٤ ، جدول (٢) ص٧٦ (حول المساحة) .

ونظراً لعدم صدق الكثافة العامة من حيث كونها مقياساً يعكس تباين الواقع السكاني ، لابد من أعتماد مقياس يكشف تفاصيل الاختلافات المكانية للظاهرة المدروسة (تباين توزيع السكان) . ومن هذه المقاييس الاحصائية استخدام الدرجة المعيارية(*)، وهو مقياس يتفق وأبعاد هذه الفقرة من البحث .

وفي ضوء الدرجات المعيارية لعدد السكان عام ١٩٩٥ يمكن تقسيم القطر الليبي الى أربعة مستويات توزيعية (أنظر شكل ٢) :

١ - **المستوى الأول** : تبلغ الدرجة المعيارية (+ ٠ر٥٠ - فأكثر) ويتمثل ببلديتي طرابلس وبنغازي الساحليتين : الأول في الشمال الغربي والثانية في شمال شرق البلاد ، وفي البلديتين أكبر مدينتين في ليبيا . ويضم هذا المستوى ٢ر٣٧% من سكان القطر ، إلا أنه لا يشغل الا رقعة جغرافية صغيرة لا تزيد مساحتها عن ٦ر٠% من مساحة البلاد . وترتفع الكثافة السكانية في هذا المستوى الى ١٤٠ نسمة/كم^{٢} بحسب تعداد عام ١٩٩٥ .

٢ - **المستوى الثاني** : تبلغ درجته المعيارية (+٤٩ر٠ - ٠٠ر٠) ويزيد عن المتوسط الحسابي لعدد السكان وتشغله بلديات مصراته والخمس والزاوية والنقاط الخمس (زوارة) وجميعها في شمال غرب القطر . وتمتد البلديتين الأخيرتين على شكل نطاق صغير يجاور الحدود التونسية . ونسبة السكان في هذا المستوى تبلغ ٢١% من أجمالي عدد السكان . أما مساحته فهي محدودة أيضاً وتقترب من مساحة المستوى الأول (٧ر٠%) . وتبلغ كثافة السكان في هذا المستوى بنحو نصف ما هي عليه في المستوى الأول (٧٢ نسمة/كم^{٢}) .

٣ - **المستوى الثالث** : تقل الدرجة الميعارية لهذا المستوى عن متوسط عدد السكان في البلاد أي (-٠,٠١- -٤٩ر٠) . ويضم هذا المستوى ١٣ بلدية تمتد من وسط البلاد الى شمالها على شكل نطاق متصل من الحدود المصرية في الشرق الى حدودها الغربية (مع تونس والجزائر) في الغرب بنسب متوازنة بين السكان والمساحة (٥ر٣٥% من سكان ليبيا مقابل ٦ر٣٦% من مساحتها) . وأغلب أراضي هذا المستوى صحراوية جافة أو شبه جافة . وتنخفض كثافة السكان في هذا المستوى الى نحو ٤ر٢ نسمة/كم^{٢} .

٤ - **المستوى الرابع** : ودرجته المعيارية تبلغ (- ٥٠ر٠ - فأقل) ويضم خمس بلديات تمتد على شكل نطاق متصل في أعماق الصحراء من وسط البلاد الى جنوبها بجوار حدود السودان وتشاد والنيجر والجزائر . ويضم هذا المستوى نسبة صغيرة من السكان (٣ر٦%) إلا أن مساحته شاسعة تصل الى أكثر من

٦٢% من مساحة ليبيا . وتنخفض كثافة السكان في هذا المستوى الى شخص واحد في كل ٤ كم^{٢} .

أتضح مما تقدم وجود تباين كبير في توزيع السكان بين منطقة وأخرى . وأن ست بلديات يزيد عدد سكانها عن المتوسط العام للقطر ، بينما يقل عن هذا المتوسط في ١٨ بلدية . وفي الوقت الذي تتصدر بلديتا طرابلس وبنغازي في الشمال الشرقي والشمال الغربي على ساحل البحر المتوسط من حيث تركز عدد السكان فيهما ، نجد أن بلديات الكفرة ومرزق وسوف الجين والشاطئ وأوباري في الجنوب والجنوب الغربي ينخفض فيها عدد السكان ويتشتت توزيعهم الى أدنى مستوياته ، حيث تمتد هذه البلديات في أعماق الصحراء .

وأتضح أيضاً وجود تشابه كبير في توزيع السكان بين تعدادي ١٩٨٤ و ١٩٩٥ من حيث الكثافات السكانية والمستويات التوزيعية . وأكبر تغير حصل هو أنتقال بلدية الخمس من المستوى الثالث في تعداد ١٩٨٤ الى المستوى الثاني في تعداد ١٩٩٥ . كذلك أرتفعت كثافة السكان في بلدية غدامس من أقل من شخص في كل كم^{٢} الى أكثر من شخص في نفس وحدة المساحة بين التعدادين . فضلاً عن تزايد سكان معظم المناطق الداخلية وتناقص نسبة سكان بعض مدن الساحل من إجمالي السكان .

ومن التغيرات الأخرى أنتقال بلديتي بنغازي وزليتن من أقليم الكثافة المتوسط الى أقليم الكثافة المرتفع ، وأنتقال بلدية الجبل الأخضر من أقليم الكثافة المنخفض الى أقليم الكثافة المتوسط . ويعود سبب ذلك التغير الى تزايد سكان تلك البلديات في تعداد عام ١٩٩٥ مما أدى الى تزايد كثافتها السكانية .

وعلى الرغم من استمرار بقاء المناطق الساحلية والمرتفعات المجاورة لها بمثابة مناطق التركز الأولى للسكان ، مما يشير الى أستمرار تأثير العوامل نفسها في شكل التوزيع منذ القدم والى الوقت الحاضر ، إلا أن حركة الهجرة (الداخلية والخارجية) والنمو السريع للسكان الذي رافق تنفيذ خطط التنمية في كل مكان ، ساعد على حصول تغيرات لها شأنها في خريطة التوزيع السكاني مثل ظهور

بعض المدن وبعض التجمعات السكانية الجديدة وبخاصةً في الأودية والأحـــواض وما تمخض عنها من تأثير في البنية الديموغرافية للسكان ونموهم وتوزيعهم .

وفيما يأتي تحديد لأبرز التغيرات السكانية التي شهدتها ليبيا منذ النصـــف الثاني من القرن العشرين[٤] :

أ) ظهور منطقة حوض فزان بكونها من مناطق التركز السكاني الجديدة وســط الصحراء .

ب) بدأت المنطقة الساحلية الوسطى الواقعة بين منطقتي الساحل الشرقي والغربي (ساحل خليج سرت) أهميتها السكانية تتزايد وتظهر فيها بعــض التجمعــات السكانية متمثلة بالموانئ النفطية ومراكز صناعية وإدارية وخدمات . وتمثـل سرت ثقل هذا التركز في طرفه الغربي (بعدّها العاصمة السياسية) وأجدابيـا في طرفها الشرقي ظهور مناطق قريبة من الحدود أخذت تكتســب بعــض الأهمية لأستفادتها من طرق النقل الدولية ولأهميتها الستراتيجية والإداريـــة ولكن لم تصل الى أهمية المنطقة السابقة ، ومن أمثلتها طبرق ومساعد فـــي الشرق قرب الحدود المصرية ، وزوارة ورأس اجدير فـــي الغـــرب قـــرب الحدود التونسية . فقد تزايدت نسبة سكان طبرق من ٦ر٢% مـــن أجمـــالي السكان عام ١٩٧٣ الى ٦ر٣% من أجمالي السكان في عام ١٩٩٥ .

ج) وبمثل هذا المستوى بدأت منطقة حوض الجفرة في الوسط (جنـــوب بلديـــة سرت) تكتسب بعض الأهمية ونمو مضطرد في سكانها متمثلـــةً بواحاتـــها الثلاث (ودان ، هون ، سوكنة) .

د) إن تزايد السكان في المناطق الجديدة وأبتعاد بعضهم عـــن منطقـــة الـــتركز الساحلي وتزايد أهمية مدن كانت أقل أهمية في الماضي جعل مدينتا طرابلس وبنغازي لم تكونا الوحيدتين البارزتين كما كانتا في الماضي . فقد تنـــاقصت نسبة السكان فيهما من أصل ليبي من أجمالي الســـكان مـــن ١ر٤٥% الـــى ٨ر٤٣% والى ٩ر٤٠% في تعدادات ١٩٧٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٩٥ بالتتـــابع . يقابلها تزايد سكان منطقة مصراتة ، على سبيل المثال ، مـــن ٧ر٩% الـــى ٩ر٩% والى ٧ر١٠% بالتتابع من أجمالي السكان الليبيين فـــي التعـــدادات

الثلاثة المذكورة . وتزايد سكان منطقة فزان من ١ر٥% الى ٧ر٥% والى ٢ر٦% بالترتيب في التعدادات الثلاثة .

والتغيرات السكانية والعمرانية المذكورة ، ولاسيما في البقاع البعيدة عن مناطق التركز التقليدية ، حدثت على أثر التطور السريع الذي أعقب اكتشاف البترول . غير أنها لم تكن نتيجة مباشرة لنشاط التنقيب عن النفط وتسويقه أو حتى تصنيعه الذي أعتمد على التقنية ، مما يعني عدم تطلبه أيدي عاملة كثيرة . وتنطبق الملاحظة ذاتها على المشاريع الزراعية الانتاجية الكبرى والمنفذة في المناطق الصحراوية معتمدة على المياه الجوفية المكتشفة في تلك المناطق مثل المشاريع الزراعية المنفذة في الكفرة والسرير وحوض مرزق ووادي الحياة وتهالة وغيرها . فهي في معظمها مشاريع معتمدة على المكننة الزراعية الحديثة التي لا تتطلب كثرة في العمالة وأنما عدد محدود من الأيدي العاملة ولاسيما الفنيين والإداريين[٥] . مما يعني أن التركز السكاني وأرتفاع الكثافة انما هو ناجم من النشاط المصاحب لصناعة النفط (في الحقول والموانئ النفطية) والصناعات البتروكيمياوية ، والمصاحب للزراعة الحديثة في المشاريع الأنتاجية الكبرى .

والتجمعات السكانية الناجمة عن الأنشطة المذكورة تكون عادةً ذات طابع حضري مما يعني زيادة التركز وكثرة الكثافة تصاحب عادةً توسع المدن التي يرافقها توسع في الخدمات التي تعني وجود عمل ووظائف في الإدارة والأمن والنقل والتعليم والصحة والتأمين والمصارف والنشاط التجاري والخدمات البلدية . لهذا نمت بعض المدن القديمة وتحولت بعض المستوطنات الريفية الى حضرية وتوسعت بعض المراكز الواقعة في مناطق تصنيع النفط وشحنه ، وكذلك تحول بعض الواحات القريبة من المشاريع الزراعية الحديثة الى مدن أزدادت في حجم سكانها ، وتوسعت في خدماتها بسرعة ، مما أدى الى أرتفاع كثافتها[٦] .

وعلى الرغم من التغيرات المشار اليها فما زال تركز السكان واضحاً في عدد محدود من البلديات التي تضم كبريات المدن . ولغرض إظهار ذلك التركز وعلاقته بزيادة النمو ، فإنه يمكن أستخراج مؤشر لكل مدة . وقد بلغ المؤشر المذكور ٧ر٣٤% ، ٩ر٣٣% ، ٨ر٣١% في الأعوام ١٩٧٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٩٥

على التوالي ، حيث انخفض تركز السكان بصورة تدريجية من عام لآخر ، مما يعني توزيع جزء من السكان في مناطق أخرى كانت أقل أهمية ، أو ظهور تجمعات سكانية جديدة . مما يتطلب إعادة توزيع السكان وذلك عن طريق (مؤشر إعادة التوزيع) Redistribution ، وهو عبارة عن النسبة المئوية لسكان القطر في نهاية المدة المراد إعادة توزيع سكانها بين الوحدات الإدارية للحصول على التوزيع الذي كان موجوداً في بداية المدة . وقد بلغ مؤشر إعادة التوزيع للمدة ١٩٧٣-١٩٨٤ نحو ٩٨ر١% بينما بلغ خلال المدة ١٩٨٤-١٩٩٥ نحو ٠٤ر٣%.

وعن طريق هذا المؤشر أمكن التوصل الى حجم السكان المطلوب إعادة توزيعه في نهاية المدة ، وذلك بضرب مؤشر المدة (بين التعدادين) في حجم السكان في نهاية تلك المدة مقسوماً على مئة ، كما هو واضح في أدناه :

حجم السكان المراد إعادة توزيعه خلال الفترة الأولى (١٩٧٣-١٩٨٤) =

$$\frac{٣٢٣١٠٥٩ \times ١ر٩٨}{١٠٠} = ٩٣٩٧٥ \text{ نسمة}$$

وللفترة الثانية (١٩٨٤-١٩٩٥) = $\frac{٤٣٨٩٧٣٩ \times ٣,٠٤}{١٠٠}$

= ١٣٣٤٤٨ نسمة

وهذا يعني أن حجم السكان المراد إعادة توزيعه لأحداث نوع من التجانس التوزيعي في القطر الليبي خلال المدة ١٩٧٣-١٩٨٤ بلغ نحو ٩٤٠٠٠ نسمة ، وللمدة ١٩٨٤-١٩٩٥ بلغ ١٣٣٥٠٠ نسمة . وهذا يعني وجود تركز للسكان في مناطق على حساب مناطق أخرى .

ويتضح هذا التركز أيضاً من أبتعاد (منحنى لورنز) عن خط التوزيع المثالي لسكان القطر الليبي وأتساع المساحة المحصورة بينهما . ويشير (معامل جيني) أن توزيع السكان في عام ١٩٨٤ كان بعيداً عن المثالية بنسبة ٩١% إذ أبتعد عن الصفر بتلك النسبة (*) (أنظر شكل ٣) .

ب - التوزيع حسب الريف والحضر :

شهدت العهود الماضية نوع من التوازن الأيكولوجي في توزيع السكان ، إلا أن هذا التوازن أصيب بالخلل نتيجة التغير الذي حدث في عناصر العلاقات التي كانت قائمة بين الريف والحضر[٧] . ولذلك لم تبق الصورة التوزيعية للسكان في ليبيا ، بحسب البيئة ، على حالها ، في الأقل خلال النصف الأخير من القرن العشرين .

ومقاييس التمييز بين الريف والحضر متباينة بين دول العالم ، ومفهوم التحضر غير ثابت في التعدادات السكانية الليبية . فقد عُرف الحضر ، بحسب مفهوم وزارة التخطيط والتنمية الليبية في عام ١٩٦٦ بكل التجمعات التي يزيد عدد سكانها عن ألفي (٢٠٠٠) نسمة ، بغض النظر عن وظيفة التجمع السكاني . وتبعاً لذلك عُدّت التجمعات الريفية التي يزيد سكانها عن الرقم المذكور حضراً أيضاً[٨] .

وعند أجراء تعداد عام ١٩٩٥ عدت حضراً جميع المحلات التي كانت معتبرة من الحضر عند إجراء تعداد ١٩٨٤ . وكذلك المحلات التي بلغ عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة فأكثر ، فضلاً عن المحلات الواقعة في مراكز ما كان يسمى بالفروع البلدية عند إجراء تعداد عام ١٩٨٤ . كما عدت المحلات الواقعة في ضمن مخططات الأسكان المعتمدة لمقر رئاسة البلديات وفروعها حضراً بصرف النظر عن حجم السكان الذين يعيشون في هذه المحلات وطبيعة نشاطهم ، وما عدا ذلك فقد عُدّ ريفاً[٩] (وهو تعريف تعداد عام ١٩٧٣) .

وبموجب تعريف عام ١٩٧٣ للحضر بلغت نسبة السكان الحضر في ليبيا أكثر من ٦٠%[١٠] . ويعود سبب أرتفاع الكثافة السكانية في المناطق الحضرية الى الطبيعة الجغرافية للقطر الليبي التي هيأت الساحل الشمالي لتجمع أكبر عدد من المدن على أختلاف مستوياتها . كذلك عدم وجود قاعدة استيطانية زراعية واسعة في البلاد . وفي المقابل بلغت نسبة الحضر في عام ١٩٥٤ نحو ٢٠% ، و ٢٢% في عام ١٩٦٤ ، وفي تقدير آخر ٢٥%[*] .

وخلال المدة ما بين تعدادي ١٩٦٤ و ١٩٧٣ حدث نمو هائل في سكان الحضر . وعلى سبيل المثال أزداد عدد سكان طرابلس بنسبة ٧٠% خلال تلك المدة ، وتبين أرقام الهجرة الداخلية أن هناك ما يزيد عن (١٠٠٠٠٠) شخص وفدوا الى طرابلس من مناطق أخرى[١١] .

وفي عام ١٩٨٤ ارتفعت نسبة الحضر الى ٦ر٧٤% من أجمالي السكان[١٢]. وفي عام ١٩٩٥ أرتفعت نسبتهم (على أساس عدد الأسر) الى ٣ر٨٦% من أجمالي عدد الأسر في البلاد[١٣] .

وفي ذلك دلالة واضحة على أن الريف لم يتطور على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي الى المستوى الذي يكون فيه قادراً على الاحتفاظ بسكانه ، وبذلك حققت المراكز الحضرية نمواً سكانياً على حساب الريف .

وقد حدد تعداد عام ١٩٥٤ مجموعة من المدن الرئيسة التي كان يغلب عليها طابع الحياة الحضرية . ومنذ أواسط الستينيات بدأ سكان المدن يتزايدون بسرعة مضطردة ناجمة عن الزيادة الطبيعية وعودة أعداد كبيرة من الليبيين الى البلاد ولاسيما بعد عام ١٩٧٣ . فضلاً عن العمالة العربية والأجنبية الوافدة الى القطر الليبي .

فقد شكل غير الليبيين نحو ١١% من مجموع الحضر عامي ١٩٧٣ و ١٩٨٤ . كما أن ٩٠% تركزوا في المدن كنتيجة طبيعية لبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية بسبب زيادة دخل البلاد من النفط فأنجذب سكان البادية والريف والوافدون الآخرون الى المدن لما توفره من سبل العيش والإقامة ، فنمت تبعاً لذلك المدن في أحجامها وزادت في أعدادها . ولم يكن أستقطاب المدن في ليبيا للسكان متساوياً وإنما استقطبت طرابلس وبنغازي السكان بنسبة أكبر ، مما أدى الى تركز في هذين القطبين[١٤] .

وكانت غالبية السكان في المناطق الريفية يعتمدون على الرعي التقليدي وعلى زراعة الحبوب البعلية . في حين يعتمد الرعاة على المطر للحصول على المرعى ، ومعظمهم يتركز في الجهات الساحلية حيث توفر أمطارها المرعى لحيواناتهم . أما الحياة الريفية المستقرة التي تعتمد على الزراعة المروية فكانت

محدودة . وتوطن البدو والرعاة بفضل مشاريع إعادة التوطين والإسكان التي شرع في تنفيذها في أواخر الستينيات لا يعني تحولهم الى زرّاع مستقرين بل يتحولوا الى حرفيين أو موظفين أو جنود أو عمال ، أي تحولهم من حياة البداوة الى حياة المدينة وممارسة الحياة الحضرية[١٥] ، كما حصل في أجدابيا وسرت والبطنان والجبل الأخضر . مما يعني تحول مجموعات كبيرة من السكان الرحل وشبه الرحل – خلال الستينيات والسبعينيات – من حياة البداوة الى حياة الحضر والسكنى في المدن مباشرة من دون أن يمروا بمرحلة استقرار في الريف[١٦] .

فقد تناقصت نسبتهم من ٦ر٢٧%[١٧] الى ٢١% من أجمالي السكان بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٦٤[١٨] ، ثم تقلصت في تعداد ١٩٧٣ الى ٤ر٣% ولم تتجاوز نسبتهم في تعداد ١٩٨٤ عن ٢ر٠% من مجموع السكان ، مما يشير الى أختفاء هذا النمط من الحياة الليبية[١٩] . إذ أن استقرارهم وأندماجهم في الحياة الحضرية كانت من عوامل تحسين مستوياتهم الصحية وتخفيض نسب وفياتهم ورفع مستوى توقع حياتهم وزيادة معدلات مواليدهم .

وتتركز معظم المدن في ليبيا في شريط ساحلي يتسع لـ ٢٥ كم من خط الشاطئ ، حيث يعيش أكثر من ٨٠% من مجموع سكان البلاد . وفيما عدا ذلك يتوزع السكان في بعض التجمعات في المناطق الجبلية أو في الواحات الداخلية وهو أمر حتمته الظروف الطبيعية[٢٠] .

وقد حدد تعداد ١٩٥٤ تسعة مراكز حضرية ، في حين أشار تعداد ١٩٦٤ الى ستة مراكز[٢١] . وفي تعداد ١٩٨٤ بلغ عدد التجمعات الحضرية ٢٦٨ تجمعاً والريفية ٤٠٦ تجمعات . وتقع أكبر هذه التجمعات في بلدية طرابلس (٥٥ تجمعاً) تليها بلدية بنغازي (٢٩ تجمعاً) ويتبعها ، بعد ذلك ، بلديات الزاوية والنقاط الخمس والعزيزية ومصراتة (بين ١٥ و ٢٢ تجمعاً)[٢٢] .

وفي تعداد ١٩٧٣ كانت أغلبية المستوطنات (٩٢%) صغيرة الحجم ، ويقل عدد سكان كل منها عن ألفي نسمة[٢٣] . وهي مبعثرة في طول البلاد وعرضها وقدرتها على البقاء والاستمرار ضعيفة . بينما تتركز المستوطنات الكبيرة الحجم في الشريط الساحلي .

وحدد تعداد ١٩٧٣ و ١٩٨٤ وجود ٣٤ مركزاً حضرياً رئيساً ، أكبرهـــا طرابلس (٩٦٩٣٠٠ نسمة) وبنغازي (٤٢٠٨٠٠ نسمة) تليهما مصراتة (٩٢٥٠٠ نسمة) وسبها واجدابيا والبيضاء وطبرق والزاوية وبقية المراكز ، حيـــث عـــدت كل من غدامس وغات آخر وأصغر تلك المراكز[٢٤] .

وأوضح تعداد عام ١٩٨٤ وجود أعلى نسبة لسكان الحضر في ست بلديات هي : طرابلس ، العزيزية ، بنغازي ، سبها ، النقاط الخمس ، مصراتة . وجميعها تضم نسبة تزيد عن معدل القطر البالغ ٧٥% . وهناك ثمان بلديات ضمـــت كـــل منها نسبة تقل عن ٥٠% من السكان الحضر وهي يفرن ، سوف الجين ، غريـــان ، الشاطئ ، مرزق ، أوباري ، غدامس ، ترهونة . وتحتوي كل منها على مـــدن صغيرة الحجم وتجمعات ريفية في قرى جبلية وواحات صغيرة . وما تبقى مـــن بلديات تراوحت نسبة الحضر فيها ما بين النسبتين السابقتين (أنظر جدول ٢).

وأخيراً لابد من اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق التنمية الشاملة للمدن مـــن خلال :

أ - الحد من توسع مدينتي طرابلس وبنغازي ، وتنشيط النمـــو الســـكاني فـــي المناطق الأقل نمواً وذلك بإقامة مصانع جديدة فيها .

ب - خلق مدن متوسطة الحجم وذلك بتركيز الاستثمارات وتوفير فرص عمـــل وأمكانيات للحياة المناسبة في المدن الصغيرة لترتقي الى مســـتوى المـــدن المتوسطة الحجم ، وتوسيع الأمكانيات التجارية في المناطق المحيطة بها .

ج - ربط مشاريع التنمية المكانية ببعضها البعض لتحقيـــق التكـــامل والتبعيـــة المستمرة بحيث لا تكون بينها ثغرات كبيرة مع التفريق بينها مـــن حيـــث الوظيفة والتخصص وتنمية مناطق نفوذ تؤثر في ما حولها .

وخاتمة القول :

ينحصر توزيع معظم سكان القطر الليبي في الأجزاء الساحلية وفي شريط ضيق . وفي هذا الشريط تبرز منطقتان للتركز السكاني : الأولى حول طرابلس والثانية حول بنغازي . وتقل الكثافة فيهما بالأبتعاد عنهما ، وتصل الكثافة الى أدنى مراتبها في الجنوب والجنوب الغربي بأعماق الصحراء حيث ينخفض عدد السكان ويتشتت توزيعهم الى اقل مستوياته .

وعلى الرغم من استمرار بقاء المناطق الساحلية والمرتفعات المجاورة لها بمثابة مناطق التركز الأولى للسكان ، مما يشير الى استمرار تأثير العوامل نفسها في شكل التوزيع منذ القدم والى الوقت الحاضر ، إلا أن حركة الهجرة (الداخلية والخارجية) والنمو السريع للسكان الذي رافق تنفيذ خطط التنمية في كل مكان ، ساعد على حصول تغيرات لها شأنها في خارطة التوزيع السكاني مثل ظهور بعض المدن وبعض التجمعات السكانية الجديدة وبخاصة في الأودية والأحواض وما تمخض عنها من تأثير في البنية الديموغرافية للسكان ونموهم وتوزيعهم . وقد حدثت تلك التغيرات على أثر التطور السريع الذي أعقب أكتشاف النفط واستثماره.

جدول رقم (٣)

توزيع السكان الليبيون في الحضر والريف بحسب البلديات (عام ١٩٨٤)

البلدية	الحضر	الريف	الجملة	نسبة الحضر الى أجمالى السكان
١. البطنان	٥٥٥١٠	٣٠٣٩٣	٨٥٩٠٣	٦٥
٢. درنا	٦١٨٩٤	٢٩١٨٩	٩١٠٨٣	٦٨
٣. الجبل الاخضر	٦٨٩٣٣	٤٢٠٢٠	١١٠٩٥٣	٦٢
٤. الفاتح	٥٣٥٩٥	٤٠٢٦٣	٩٣٨٥٨	٥٧
٥. بنغازي	٣٧٣٧٠٩	٤١٦٥٢	٤١٥٣٦١	٩٠
٦. اجدابيا	٦٥٠٠٩	٢٢٨٤٤	٨٧٨٥٣	٧٤
٧. سرت	٦٠٠٩٩	٢٩٧٤٠	٨٩٨٣٩	٦٧
٨. سوف الجين	٣٩٣٨	٣٥١٢٥	٣٩٠٦٣	١٠
٩. الكفرة	١٣١٩٥	٧٣٠٨	٢٠٥٠٣	٦٤
١٠. مصراتة	١١٤٤٩٦	٣٥٢٩٨	١٤٩٧٩٤	٧٦
١١. زليتن	٥٥٦٠٣	٣٨٨٨٠	٩٤٤٨٣	٥٩
١٢. الخمس	٩٨٦٠٨	٤٠١٩٨	١٣٨٨٠٦	٧١
١٣. ترهونة	٣٥٥١٥	٤٢٨٩١	٧٨٤٠٦	٤٥
١٤. طرابلس	٨٦٥٩٠٤	٢٠١٥٥	٨٨٦٠٥٩	٩٨
١٥. العزيزية	٧٠٠٦٨	٣٠٧٠	٧٣١٣٨	٩٦
١٦. الزاوية	١٤٢٤٢٥	٥٨٦٣٤	٢٠١٠٥٩	٧١
١٧. النقاط الخمس	١٣٤٢٠٢	٣٢٠٠٧	١٦٦٢٠٩	٨١
١٨. غريان	٢٢٧٩١	٨٤٣٧٠	١٠٧١٦١	٢١
١٩. يفرن	١٢٣٨٣	٥٦١٥٩	٦٨٥٤٢	١٨
٢٠. غدامس	١٥٣١٣	٣٢٢٣٠	٤٧٥٤٣	٣٢
٢١. سبها	٥٦٤١٥	٥٩٤٠	٦٢٣٥٥	٩٠
٢٢. الشاطئ	٩٢٣٣	٣٣٠١٥	٤٢٢٤٨	٢٢
٢٣. أوباري	١٢٨٤٦	٢٩٧٥٠	٤٢٥٩٦	٣٠
٢٤. مرزق	٨٣٠٣	٢٩٩٤١	٣٨٢٤٤	٢٢
المجموع	٢٤٠٩٩٨٧	٨٢١٠٧٢	٣٢٣١٠٥٩	٧٥

المصدر : نتائج التعداد العام للسكان لعام ١٩٨٤ ، جدول (٣) ص٧٧ .

المصـــادر :

١ - محمد المبروك المهدوي ، جغرافية ليبيا البشرية ، ط٢ ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ١٩٩٠ ، ص١٣٣-١٣٤ .

٢ - عيسى سليمان الزقني ، الوضع السكاني في الجمهورية العربية الليبية ، بحث مقدم الى مؤتمر الخبراء العرب لمسائل السكان وعلاقتها بالصحة والتنمية المنعقد في الإسكندرية خلال المدة من ٣-١٩٧٦/١/٨ ، وزارة التخطيط والبحث العلمي ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، طرابلس ، ص٢.

٣ - محمد المبروك المهدوي . مرجع سابق ، ص١٣٣-١٣٤ .

(*) الدرجة المعيارية (د) = $\frac{\text{س} - \text{س}}{\text{ع}}$

حيث أن س = أي قيمة من قيم المتغير ، س = الوسط الحسابي لقيم المتغير ، ع = الأنحراف المعياري .

٤ - منصور محمد الكيخيا ، "السكان" في كتاب الجماهيرية : دراسة في الجغرافيا ، أعداد الهادي مصطفى بولقمة ، سعد خليل القزيري ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ط١ ، سرت ، ١٩٩٥ ، ص٣٣٧.

٥ - المرجع نفسه ، ص٣٣٩-٣٤٠ .

٦ - المرجع نفسه ، ص٣٤٣ .

(*) تم الحصول على قيمة معامل جيني من تجميع القيم المستخرجة من منحنى لورنز (شكل ٣) .

٧ - عبد الآله أبو عياش ، التحضر في الوطن العربي : تقييم جغرافي للبعدين الاقتصادي والاجتماعي ، في قراءات في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية ، تحرير عبد الله علي الصنيع ، مكتبة الطالب الجامعي (رقم ٦١) ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م ، ص٢٢٥-٢٢٦ .

٨ - سعد خليل القزيري ، "التحضر" ، في كتاب الجماهيرية ، مرجع سابق ، ص٤٠٩ .

٩ - النتائج النهائية للتعداد العام للسكان لسنة ١٩٩٥ ، طرابلس ، يوليو ، ١٩٩٨ ، ص١٩ .

١٠ - عيسى سليمان الزقني ، مرجع سابق ، ص١٧ .

(*) وفي تقدير غيره ٣٤% (سعد القزيري ، التحضر ، كتاب الجماهيرية ، مرجع سابق ، ص٤٠٨) .

١١ - ج ع ل ، اللجنة الشعبية العامة للتخطيط ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، معدلات النمو السكاني ومستوى الخصوبة والوفيات (استناداً الى نتائج التعداد العام للسكان لعام ١٩٧٣) ، الدراسات الإحصائية التحليلية ، العدد ٢ ، ص٣ .

١٢ - أمانة اللجنة الشعبية لتخطيط الاقتصاد ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، نتائج التعداد العام للسكان لعام ١٩٨٤ ، جدول (٣) ، ص٧٧ .

١٣ - النتائج النهائية للتعداد العام للسكان لسنة ١٩٩٥ ، جدول (٤) ، ص٨١ .

١٤ - سعد خليل القزيري ، التحضر ، كتاب الجماهيرية ، مرجع سابق ، ص٤٣٣-٤٣٤ .

١٥ - منصور محمد الكيخيا ، السكان في كتاب الجماهيرية ، مرجع سابق ، ص٣٤٥-٣٤٨ .

١٦ - المرجع نفسه ، ص٣٤٨ .

١٧ - عيسى سليمان الزقني ، مرجع سابق ، ص٢٠ .

١٨ - المملكة الليبية ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، التعداد العام للسكان لعام ١٩٦٤ . مطابع مصلحة الإحصاء والتعداد ، طرابلس ، ١٩٦٦ ، جدول ٧٦ ، ص٨٤ .

١٩ - منصور محمد الكيخيا ، مرجع سابق ، ص٣٤٩ .

٢٠ - سعد خليل القزيري ، التحضر ، كتاب الجماهيرية ، مرجع سابق ، ص٣٩٨ .

٢١ - المرجع نفسه ، ص٤٠٩ .

٢٢ - أمانة التخطيط ، الدليل الجغرافي ، طرابلس ، ١٩٨٤ عن : سعد خليل القزيري في كتاب الجماهيرية ، مرجع سابق ، ص٤١٠ .

٢٣ - عيسى سليمان الزقني ، مرجع سابق ، ص١٨ .

٢٤ - محمد المبروك المهدوي ، مرجع سابق ، جدول (٩) ، ص١٤٥ .

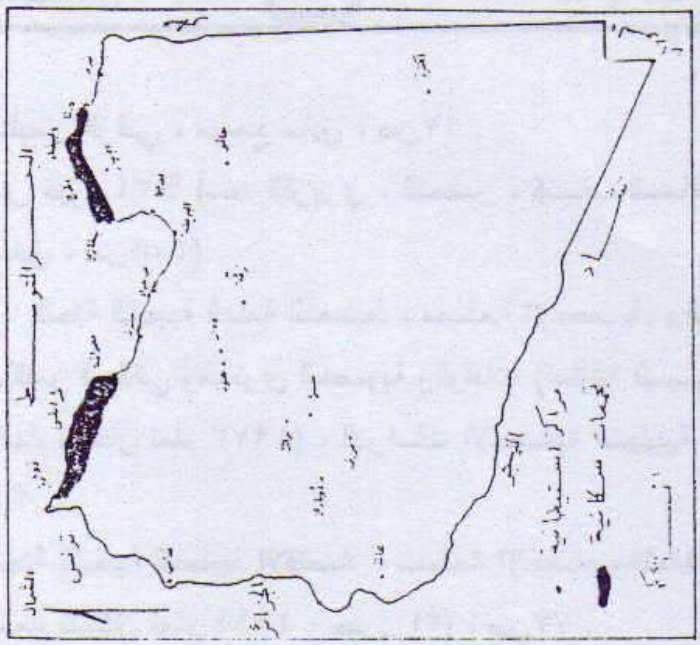

شكل (١) التجمعات السكانية والمراكز الاستيطانية في ليبيا

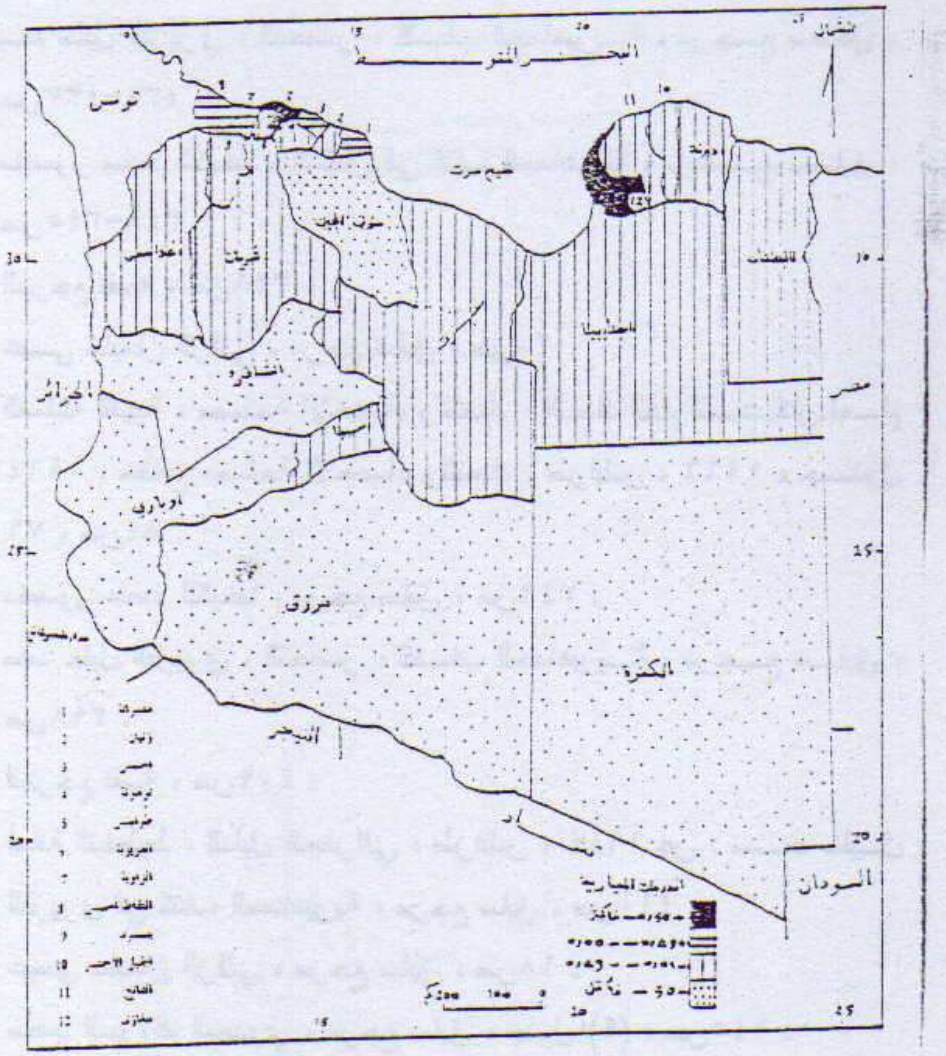

شكل (2) التوزيع الجغرافي لسكان الجماهيرية الليبية (1995)